

إلى مؤتمر نواب العرب

ليك ! ليك ! فلسطين

للأديب السيد ماجد الآتاسي

—>>><<<—

إذا كانوا يزعمون أن هذا العصر عصر الديمقراطية والحريات والمساواة في الحقوق والواجبات ، فهو إذن عصر المؤتمرات للأفراد والجماعات والهيئات . والناس يأتمرون من مختلف الأمم ، ويريقون على هذه المؤتمرات عواطفهم وسيولهم ، ويفضون عليها آمالهم ومثلهم ، ويحيطونها بالضجيج وفنون الدعاوة ، فإذا الناس يتحدثون عنها إذا أمسوا وإذا أصبحوا ، حين يكتبون ، وحين يخطبون ، وحين يسمرون ، وحين يهدون . وقد تصبح هذه المؤتمرات ملء الدنيا وشغل الناس ، وقد يكون لها نصيب من حق ، وحظ من جمال ، ونسَم من مثل عليا ، ولكنها — على هذا كله — تبقى مؤتمرات تضم طائفة من أهل الأرض !

ولكنها — على هذا كله — تبقى أرضية ، أرضية ! ...

أما مؤتمر العرب اليوم ، دذنا عن فلسطين ، فهو نوع آخر من المؤتمرات فذ طريف ؛ من لحراز لأعهد لأبناء الأمم الأخرى به ولا قبل لهم بمثله ...

هو مؤتمر برىء كرقصة المعجوز ، صادق كصلاة الطفل ، رائع ككلم الحسناء ، شريف كأغنية البطل في جوف الليل .

هو ، بأهل المشارق والمغرب ، مؤتمر اشتركت فيه الأرض والسما ، وهل اشتركت الأرض والسما في مؤتمر قبل اليوم !؟ .

من يدري ، أيها المؤتمرون ؟ لعل الأرض لم تتصل سرة بالسما ، انصالحهما بالقاعة التي ضمتكم ، تلك القاعة التي هيأها الأقدار لتكون اليوم مهبط الوحي ، ولتكونوا أنتم اليوم رسل هذا الوحي إلى العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغربها ! ..

من يدري ، أيها المؤتمرون ؟ لعل مواكب العرائس من الحور العين كانت تمتد على حفاقي طريقكم إلى قاعة المؤتمر من زغرذات ، هازجات ، فأثرت على رؤوسكم الفل والياصمين والريحان ، ناخات مواكبكم بأطياب المطور ! ..

من يدري ، أيها المؤتمرون ؟ لعل أجنحة الملائكة كانت تخفق في جواقع الباركه ، فتنفض عليه النور والقوة ، والهناء والثقة ؛ ولعل أرواح الأنبياء كانت — إذ وطأت أقدامكم عتبها — تفوح حمداً ودعاء ، احتفالاً برسول الأخوة ، وقيام الدعوة مرة أخرى إلى « حطّين » ثانية ! .. آيات من وحي السماء كانت

من يدري ، أيها المؤتمرون ؟ لعل آيات من وحي السماء كانت تنزل على شفاهكم حين تكلمت قلوبكم من على المنابر الخاشعة ، تخفس — إذ تكلمت — الشيطان ، وارتعد الأرعن العجلان ، وكبرت وهلت — إذ تصادتم — الأرض والسما وملائكة الرحمن ! .. اليوم تأتمرون ، وتصلون لأجل فلسطين ، باقيا السيوف ، وأحفاد الفاتحين ..

واليوم تلتفت فلسطين المنجوعة ، ترسل النظر الحائر الدامع إلى قبلة الحرم ، ترتقب من قاعة المؤتمر ومضة النور ، ونفحة القوة ، ودعوة الجهاد ؛ وجبل النار ، جبل النار القمى صهرته الشدائد ، وهدهة النوازل ، وطهرته السماء ، واجتاحتها النار ليكون روضة من رياض الجنان ، يرتقب اليوم من مؤتمركم قطرات الندى لزهرة الذي ذوي ، وانبعث الربيع لربيعه الذي أقوى ، وانتعاش الحياة في هيكله الذي يضوى .

اليوم ، تأتمرون ، وتصلون لأجل فلسطين ، باقيا السيوف ، وأحفاد الفاتحين ! ..

واليوم ، تنزو إليكم — في إسارها وعنتها — بضراعة المهان ، وانكسار الدليل ، واستغاثة المصاب ، ابنة عم قيدوها عند صخرة المسجد الأقصى ، ومهد المسيح

اليوم تمد يديها إليكم ، وقد بهرتنا الشدائد ، وفدحتنا المصاب ، وأجهدها اللغوب ؛ وأبناؤها المدافعون بالأيدي عنها ، ينساقطون — رائف نفسي عليهم — بالقرب منها عزلا واحداً

بمد واحد ، ووزمة بعد زمرة ، مشردين في مجاهل الفاو ، وخوادع السبل ، بين شاب كزهر الصبح معفر الوجه — واحسرتاه — بالرمال ، وشيخ يلفظ النفس في شعاف الجبال ، وطفل يتضور جوعاً في الحصار ، وفتاة كالبدر تبكي مروهة في الأسحار ، وفارس يصبح وعسى كل يوم في ميدان ، لحافه السماء ومهاده صهوة الخيل ، وقوته الأعشاب ، يذب عن ثاني القبلتين وأبنة الأنبياء والأقطاب ، وخميلة الوحي والابحان ، وعروس الأديان

أنتم ... أنتم ... وإن لم يكن بيدكم هذا السوط الذي بهزه
اليوم هنار وموسوليني في وجههم ... فاذا هم كالأنعام ...
أنتم ... أنتم ... وفيكم اليوم ما يخيف : فيكم تاريخ بتور ،
وماض يبعث ، وحاضر يتوثب ، ومستقبل يتوعد ، وعلى لسانكم
— فوق هذا وذلك — حق يتكلم

والجرم ، الجرم ، يا قوم ؛ هو أجبن خلق الله وإن كان أقوى
الأقوياء ! هو يحمل اللعنة في ثيابه ، وإهابه ، ويرن أبدأ بين
أذنيه صوت القصاص ...

أنتم ... أنتم ... وفيكم اليوم ما يخيف : اليوم يملون حق
العلم أن هؤلاء الذين أمامهم هم هم الذين عرفوهم ، منذ قرون تحت
أسوار أورسليم . واليوم يملون حق العلم أن أولئك الفرسان
الذين يسابقون الرياح في خطوط النار ، هم هم الفرسان الذي كان
يرتفع غبارهم وراء رايات صلاح الدين في حطين ...

وكل عربي اليوم صلاح الدين . وكل بلد عربي اليوم حطين
أبها المؤتمرون :

أقولون اليوم : إن فلسطين لأهل فلسطين ، وإن ما يشترق
في فلسطين اليوم دونه مآسى تيمورلنك ، ونيرون ، وجنكيز ؟
أم تقولون إن العرب لن يرضوا بمد اليوم بمسظمة يهودى صهيونى
واحد ترى في فلسطين ؟ ! هذه المسظمة المتقنة التي طافها أرن
العالمين ، أ تقولون هذا ؟ حذار ! حذار ! قالسليم المميز الرفيف
التخيف إذن « بتوعك والتوازن الدولى الجليل الحساس يحتل
وينفض ، والدنيا تصبح في خطر ، وأصحاب الضمائر واليهود
الصادقة لن يرضوا في حال من الأحوال أن ينكثوا بهمد قطعوه ،
ووعده متعوه على = ساب شنب برى آمن مطمئن !

العلم ، والمدنية ، وحق تقرير مصير الشعوب ؛ كل هذا هو
الحسان اللواتى لسواد عيونهن قاموا وقعدوا ، وأرغوا وأزبدوا ،
يوم حطم موسوليني تحت سنانك خيله أعرق تاج في ربوع الحبشة
والبرم لسواد عيون هذه الحسان نفسها ، يجلون في فلسطين
شعباً كاملاً عن وطن آبائهم وأجدادهم ليحلوا محل حنالات الشعوب
فهم يخربون المدن ، ويقطعون السبل ، ويحاصرون الآمنين ،
ويروغون النساء ، ويقتلون الأطفال . كل هذا لأجل السلام !
ووفاء باليهود والوعود !

أنتدرون ، يا قوم ، ما للفرق ؟

في كل زمان ؛ يذب عن عذارى العرب المروحات ، يذب عن
الأعراض والحرمات، يذب عن الشرف العربى خشية أن يهان ،
يذب واهباً لله نفسه ، والوطن روحه ، والمروبة ماله ، نأحمك
ذراعيه للاقاء المرائس اللوحات له من وراء النظر وقد فتحن
له باسمات من بردات أبواب الجنان ، قفاحت عطوراً ، وتنوعت
زهورها ، وهبت نساءها ، وسدحت طيورها ، وكبرت وهلت
— سدنتها يباركون « المريس » الجديد ، يباركون الزائر القادم ،
يباركون هذا الجندى الفارس الملم من جنود صلاح الدين ... !
اليوم تأغرون وتصلون لأجل فلسطين ، يا بقايا السيوف ،
وأحفاد الفاتحين !

واليوم أنتم اليد الملائكية للناعمة ، تمتد في هدأة الليل ،
لتكفكف دموع ذلك اليتيم العربى الهائم على وجهه في نياق بثر
السبع ؟ يقنص عن جثة الأب الشهيد !

أنتم اليوم قطرات الندى يتساقط في غلس الفجر على قبور
الشهداء قترف على زهرات هذه القبور ؛ تلك الزهرات التي رويت
من دم قلوبهم فتفتقت — في روائها ونضرتها — روضاً حياً
لأمانينا ومثلنا ، روضاً لأمانى المروية المجاهدة في فلسطين !

أنتم اليوم زجيرة النار تمصف قهتر لها طرباً عظام الشهداء
المهاجمين في سفوح الجبال ، وترقص عليها النسوة المروحات
في الأسحار !

أنتم اليوم لمة النور تومض في معامى الأفق النائم ، قهفو
لها قلوب المؤمنين الآمنين المحاصرين في أجواف النور ، وشفاف
الجبال ، في فلسطين !

أنتم اليوم بسمه الأمل لن خلف المجاهدون في فلسطين وراهم
من شيوخ وأطفال ونساء !

— أنتم اليوم ، لحن العزاء لهؤلاء الشيوخ المكابدين لواعج
الأحزان على حرمت تنهك ، و نفوس تزهر ، ووطن يستباح ،
وضعب يموت ، وحق يهضم ، لسواد عيون شعب «مدلل» جليل ،
لسواد عيون الحسان من بنات صهيون !

أنتم اليوم شبح القصاص بطارد ، بمد موهن الليل . بنات
صهيون المجررات عند المسجد الأقصى أذبال الخطايا والآثام !

أنتم اليوم حلم الخلاص الجليل يداعب جفون المندراء المربية
تند مهد المسيح الفارقة في غفوة الأحلام ؟

الفرق هو أن يدموسوايني بدقاسية تؤلم إذ تضرب وتوجع ..
وأما يدم فناعمة رهنة ، فهي — إذ تضرب — كأها
تربت وتلاعب وتنازل ..

إذن اضربونا ، اضربونا ما أجل هذه الأيدي وما أشد
نعمتها ! .. وما أحلى ضرباتها ، يا منصفون !

أيها السلم ، أيها التوازن الدولي ، أيها الماهدات والوعود !
أيها الحسان الزرق العيون ، يا مبهودات تשמيران ودبلاديه
خذوني ، وضعوني بين ذراعيكم إلى صدركم الجليل ..

يا لله ، ما أعجب شأنكم ! أنتم في أحلام الشراء ، وعلى
السنة الساسة ، وفي كتب القانون ، تلك « المروحة » أمام وجه
الانسانية الثائرة المحمومة ، تخفّف عنها وطأة الحر والجلي ..
أنتم عند هؤلاء رسل الحب والقبيل بين الناس ... وأنتم
— في الرائع المموس — ذئاب نموي ، وأرانب نمر ، وتغالب
تمكر ؛ بل أنتم هذا الثوب الفضفاض الجليل الذي يحكيونه
في لندن وباريس ليحجبوا به عن الأعين الدم الفاطر من أيديهم !
أنتم — كما قيل — « القفاز الأبيض في اليد الحمراء » ،
« أنتم النقاب الخادع يستر الوجه الكاشف ، والطرف النادر » ،
« أنتم حجة ذئب » لا فوتين « بفرضها على الجمل الضيف » ،
« أنتم معاني الظلم والنف والصوصية والاعتصاب محتجب
في مصطلحات القوانين .. أنتم .. أنتم كل ما بلنت الانسانية ،
بمد جهاد قرون ، من قدرة على الكذب والتويهه !

سمنا ، يا حسان ؛ أن أبا كن ويلسن ، هذا السيامي الطيب
القلب سيامي الكتب والأحلام ، قد أقام لكن هناك على ضفاف
بحيرة « جنيف » الساحرة مقراً منيفاً ترسلون منه إلى العالم
أجمع قبلات الحب والأخوة ، ورسائل السلام والوئام ، وتبعثون
منه ، وإلى السماء صلوات المثل العليا ..

أيها الطيب القلب ، الغافي في هدوء الضمير ،
إسمنا من هنا ، اسمع أنات عانيتنا ، ونشجات باكتنا ،
وضجات جناحنا الهيمض .

إسمنا : إن هذا القصر الذي شدته يديك الطاهرتين
المشوبتين ليكون هيكلاً مقدساً لصلوات نساك الحب والمساواة
والسارم . أصبح اليوم حانة من حانات الليل ، تدار فيها مخور
الشهوات ، وتدفع بالتملن ممردين في أجواء العالم ، ويقاع

الأرض ، عاتين فيها كثرة أنيابهم ، بحارة عيونهم ، مفتحة
خيابهمهم ، مكرين على الانسانية صفوها ، منصفين عليها
أحلامها ..

أصبح اليوم داراً من دور الميسر تلهو به الأمم الكبيرة
لا الأفراد ، و « الروليت » هناك تدور وتدور ، و « القبيش »
يرتفع ويهبط ، وهي في هذا الدوران والارتفاع والهبوط تدور
معهما وترتفع وتهبط لأموال الأفراد ، ولكن — واحر
قلبا — مصائر الشعوب ، ومقدرات الأمم والضعفاء ..

أصبح اليوم : سوقاً يأوي إليها تجار الرقيق « بالجلة »
« ليتساوموا » فيه ، ويتبادلوا ، ويتهادوا ..

أصبح اليوم مأوى للذئاب الخائفين من شرور أنفسهم !
والآن ، أيها المؤتمرون ، إن فلسطين تناديكم .

تنادى المترجمين على عمروش الذين كانت تسهل خيولهم ، وتلعغ
أسننتهم ، ويرتفع غبارهم ، تحت أسوار أورشلين ..

فمن يكون اليوم منهم صلاح الدين ؟

من يكون اليوم منهم « المعتصم » لينقذ اليوم ألف عربية
بين أيدي الجنود تنادى من وراء قضبان الحديد ، في غلس الليل
« وامعتصاه ! » ؟

أيها المؤتمرون ، أيها الملوك ، أيها الأسيال ، أيها الشيوخ
أيها المجازر ، أيها العرب ، أيها المسلمون : صلوا حين تأوون إلى
فراشكم وحين تصبحون ، لأجل فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى مواثدكم لأجل المتضورين جوعاً
في فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى أولادكم لأجل اليتامى المشردين
في فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى نسايتكم لأجل الأراامل الرويات
في فلسطين !

صلوا : لأسبل الشهيد العربي المجهول الحاجع بين وكور
النسور في جبل النار .

صلوا لأجله : فهناك من تراب النبي حفنة ، ومن البقيع
الأطهر قطعة ، ومن الفرايس روضة ، ومن رضى الله بسمه
ومن البركان نفحة .

صلوا ، صلوا لأجل الشهيد العربي في فلسطين .

« حص — سوريا ، ماجهر الاناسي »